أسلوب المديح عند المحامي آدم عثمان: دراسة وصفية
أ. د. أيوبكو كيرم امين

ملخص البحث

هذه الدراسة محاولة لوصف ميزات أسلوب المحامي آدم عثمان في شعر المديح، ونمط تفكيره، وكيفية تركيزه للأفكار، ونظرته إلى الأشياء وتفسيره لها، وطبيعة افعاله، وذاتية في شعر المديح. فقد تناول البحث ما يقارب عشرين قصيدة من أعمال الشاعر في المديح بالدراسة، واستخلص إلى أن الشعراء يمتعون بالأسلوب يتميز بالسهولة في التعبير والرقة في الترتيب، وجودة السبك. ويواد تعاني المديح من مناسبات القصائد ومن الفضائل الإسلامية. ويكش من استعمال المصطلحات الصوفية، كما ينتج الى مدح المكان الذي يقيم فيه المدح.

مفهوم الأسلوب:

كل فرد يملك عالما من المعاني والأخيلة، وطريقة الصياغة والتعبير، ونمط التفكير والتنسيق. وهذا ما يسمى في العالم الأدبي بالأسلوب. ويمكن أن يعرف الأسلوب بأنه الطريقة التي يتخذه الأديب في تنظيم أفكاره وتنسيق كلامه مما

عضو هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا - نيجيريا.
kaabubakar@abu.edu.ng
وتحدة الأمة-العدد الثاني، ربيع أول 1438 هـ/ديسمبر 2017 م

يتميز عن غيره، فالأسلوب عنصر أساسي في الأعمال الأدبية، وهو مرآة تُعكس نمط التفكير عند الفنان، وإحساساته وانفعالاته، وتكشف شخصيته. كما يُظهر طبيعة الظروف المحيطة به كبيئة وتجربة وثقافة. فالأسلوب صورة خاصة لصاحبها، تبين طريقه تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها، وطبيعة انفعالاته. فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب، وبين الأسلوب الأفكار الكائنة في عقل صاحبه، كما يعبر عن المثيرات التي تحرك فكره.

فالأسلوب - على هذا الأساس - أداة تبرز بالضرورة، الاتفاعلات والأحاسيس والعواطف الإنسانية، وتبتين فكر مشتهيه. ومن هذا المطلق يمكن أن يتخذ الأسلوب معياراً يفصل بين إنتاجات أدب وإنتاجات أدب آخر، أو إنتاجات عصر وعصر آخر، أو مدرسة أدبية وأخرى، وهكذا. ولذلك اعتبر النقاد الأسلوب بمثابة لوحة كاشفة لمخبآت شخصية الإنسان ما ظهر منها في الخطاب وما يطىء، ما صُرّح وما ضُمن.

وفي الجملة، إن الأسلوب عنصر هام في الدراسات الفنية، يساعد المدرس على فهم طبيعة الفنان ومواجهه وسائر الظروف المحيطة به، وتميز أعماله عن غيرها.

مفهوم المديح:

يمكن أن يُعرّف المديح بأنه: "هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النافعة كرجال العقل والعدل والعفة والشجاعة". فهو بذلك نوع من

(1) سلیمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط. 2008م)، ص 38-43.
(2) سلیمان، فتح الله أحمد، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص 12.
(3) الإسكندر، الشيخ أحمد، وأمين، مصطفى، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه (القاهرة: دار المعارف، ط. 1916م)، ص 48.
أسلوبت المديح عند المعاصر، دراسة وصفية

الشعر يقوم على تعدد المحاسن. ومن الظاهر أن المديح كان ظاهرة فطرية في الإنسان، وأنه كان نوعًا شائعًا في أدبي جميع الأمم منذ زمن الإنسان البديائي. وكان يُجَد في الشعر العربي التقليدي من أهم الأغراض منذ الجاهلية إلى العصر الراهن.

ويحتمل أن يكون المديح جزءًا من الفخر أو مفرفا عنه كي يرى قدماء بن جعفر، بأن الفخر مدع الناس، وكان متقذا على المديح بالنسبة إلى العرب. فقد كان مديحيهم قبل أن تضعف أعراض البداوة كله فخرا، ولما وحن أعراض البداوة، ومن العرب الفر، وجعلوا يتغنو المتالئة، حولوا شيئا من فخرهم إلى المديح.

والدراسات لتراث الأدب النيجييري باللغة العربية يذكر ضرورة أن المديح

عندهم قد تشكل بشكل تقليدي. وذلك لأن الشعراء العلماء قد قرؤوا دواوين الشعراء القدامى، حاولوا تقليدهم ومحاكاة أساليبهم، إلا أنهما لم يكونوا مكتسبين ولا فائتين، خلافا لبعض الشعراء من العرب القدامى الذين استهروا بالتكسب بالشعر، والذين كانت إنتاجاتهم متوفرة في بلاد نيجيريا، ونمورداً لشعرائها.

(1) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، د. ط. 2007، ص 84.
(2) زرني، غرب ترمو، محمد البيخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، (زارني)، مطبعة غشاكية، د. ط. 2004، ص 127.
(3) صلاح، أحمد خضر، من المديح عند الباحثي والمتنبي: دراسة أدبية، مقارنة، (رسالة الامجستر المخططة، قسم اللغة العربية، جامعة بادرود، 2006)، ص 13.
(4) البغدادي، قادة بن جعفر، نقد الشعراء، تحقيق: محمد عبد المُعتم خفاجي، (الأفلاهة: مكتبة الكليات الأزهرية، د. ط. 2006)، ص 89.
(5) الراقي، مصطفى صديق، تاريخ آداب العرب، ص 84-86.
(6) زرني، غرب ترمو، محمد البيخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، ص 127.
وقد نظم المحامي آدم عثمان قصائد متعددة في أغراض مختلفة، وأدرك الباحث من خلال دراسة أعماله الأدبية، أن فن المديح يُمثل غرضاً هاماً وبارزاً من أغراض شعر هذا المحامي. وأنه يمكن أن يعد من بين الشعراء العلماء الذين ساهموا في تكوين مادة شعر المديح في هذه البلاد. فقد ساهم- هو الآخر- بتصنيف وأثر من القصائد التي نظمها في فن المديح، والتي مدح بها شيوخه وغيرهم من السادات وأصحاب الجناة وغيرهم من استحق أن يمدح لسبب أو آخر حسب رأي الشاعر.

بطاقة تعريف بالشاعر المحامي آدم عثمان:

ولد الشاعر المحامي آدم عثمان سنة 1957 م في قرية قريبة من مدينة غومبي. Bula Jangirawo تدعى بول جنيراوو Gombe عثمان بين نخبة من العلماء أباء وأجدادا، وترعرع في أسرة دينية وعلمية خالصة.

(1) محمد عبد الصمد عبد الله، أضواء على الشعر في غربي آfrica، (القاهرة: مكتبة وهرية، د، ط، 2001 م)، ص 51.
(2) الجمعي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، 1980 م)، ص 29.
فدرس عند أبيه علومٍ جَمِيَّة، فهو الذي علّمه القرآن ومبادئ الفقه المالكي واللغة من خلال الكتب المتداولة في أيدي العلماء، في ذلك الحين والمكان.

وكان من حسن حظ الشاعر المحامي آدم عثمان أن نشأ في بيئة علمية ودينية، تُقَدِّم العلم والدين. فقد أتاح له ذلك فرصة لبداً طلبه للعلم مبكرا، ومنذ أن كان يافعا. فبعد أن تعلم عن أبيه أسئمكت الفنون الإسلامية ك القرآن ومبادئ الفقه المالكي، أخذ الشاعر يتعلم ويخرس عند نخبة من العلماء علوم الفقه حتى حصل منه على نصيب وافر. فقد درس مذهب المالكي بعمق وتلقين فنونه عند أبيه وغيرهم من العلماء الذين عاصرهم وليفهمون في تُعْجَب وما جاورها من القرى والمدن.

ثم أرسله والده إلى مدينة كانو Kano سنة 1970 م، ليواصل سيرته في تحصيل العلم والثقافة الإسلامية. فقد في كانو نحو عقد من الزمن، تلقى خلاله علمًا كثيرًا من مجالس علمائها المختلفين ومعاهدهم. فقد درس عامة كتب فقه المذهب المالكي المقررة في المعاهد التقليدية وكتب اللغة والنحو وغير ذلك، كما درس دواوين الشعراء القدامى.

وكان الشاعر المحامي آدم عثمان مشتاقًا إلى الدراسة النظامية والتربيعة العربية التي بدأت تشق ضوء شعاعها في ذلك الحين. فحمله ذلك على تسجيل نسخه في Madate مدرسة مسائية ابتدائية ل نحو الأمية لما كان في كانو، واستمر المدرسة مطالبًا وذلك سنة 1972 م. ومكتبه في هذه المدرسة أربع سنوات، وتعلم خلالها مبادئ القراءة بلغتي الإنجليزية والهُوْسَا Hausa العربية، والحساب. ثم التحق بمدرسة العلوم.

(1) النaylight، يعقوب محمد، ظاهرة جديدة في الشعر العربي البحريني: عرض ودراسة لشعر السيد آدم عثمان، (رسالة الماجستير المخطوطة، قسم اللغة العربية، جامعة بابل، كاثوليكية، 1998 م)، ص. 5.
(2) المصروع، عثمان محمد، المحامي آدم عثمان: شاعره وقصائده، في مناهضاتها ضد الإسلام، (رسالة الماجستير المخطوطة، قسم دراسة الدينات، جامعة جُوُسَّ، 2008 م)، ص. 26.
الشريعة

وتحريج فيهما سنة 1978 م.

وفي سنة 1980 م وجد الشاعر المحامي آدم عثمان قبولًا في جامعة عثمان بن
فوسي صُنُّو، وابتدأ دراسته الإعدادية. ثُم تخصص في الحقوق والشريعة.

وتحريج في الجامعة سنة 1986 م.

ثم سافر إلى مدينة ناجوس لِلتحريج Lagos حيث مدرسة نيجرية للحقوق
وسجل ليصبح محامٍ ويكتسب عضويته في منظمة المحامين النيجيرية
وذلك سنة 1987 م.

ومن ثم رجع إلى بوتشي من موظفيها منذ 1985 م. وقد عمل مع الوزارة لمدة عشر سنوات تنقل خلالها بين
المحاكم الحكومية والمناصب، حتى انتهى إلى محكمة الشريعة الاستثنائية

Court of Appeal

مياطي

ولما استقال عن الوظيفة أسس غرفة المحاماة وسماها بـ Ran Road
بال مدينة بوتشي. ولا يزال يرأس

هذه الغرفة التي تضم طائفة من المحامين الممارسين.

ومع عودة الديمقراطية في سنة 1999 م خاض الأدب الشاعر المحامي آدم
عثمان في الحركات السياسية، حيث ترشح لِلْيُنَبِّي أو كممثل في برلمان ولاية غَمْبي
ونجح ليس فقط في الحصول على مقعد النيابة، بل نجح أيضاً في الحصول على
منصب رئيس المجلس لمدة ما بين 1999 م إلى 2002 م. وتتم تعينه بعد ذلك رئيساً
لِلْوَكَالة المحلية على سبيل الانتخاب قبل أن يتم الانتخاب. وعاد إلى غرفة
Akko المحلية

Miyatti Allah Chambers

محاماة بعد ذلك ليستمر في ممارسة صناعة المحاماة،
والتالي لا يزال يمارسها إلى جانب الزراعة. وتزوج الرجل مبكراً في سنة 1982 م. ثم تزوج زوجة ثانية سنة 1993 م. وله إلى الآن ستة أولاد.

ومن هذه التفاصيل يظهر للباحث أن الشاعر استكسب ثقافة واسعة متعددة الأطراف، إذ استكسب الثقافة الإسلامية في بداية جولته في هذه الحياة، وثنى بالثقافة الغربية إلى جانب الثقافة التي اكتسبها في صناعة المحاماة وفي الحركات السياسية التي خاضها. وكان إلى جانب كل ذلك، محبًا للقراءة ومولعاً بالمطالعة، كما كان مغرماً بكتب الأدب الإنجليزي والروايات والصحفي التي كان يقرأها دوماً. وكان يتبع الحركات السياسية الدولية والأزمات العصرية، والصراع بين الثقافات وسائر القضايا الدولية عن طريق قراءة المجلات المستوردة و&displayed-character

دراسة وصفية لأسلوب المديح عند المحامي آدم عثمان:

كان أسلوب المحامي آدم عثمان في المديح يتميز بالسهولة في التعبير والرقة في الترتيب، فهو يعبر عن نفسه بعبارات في غاية السهولة مع جودة السبك. وهذا ليس غريباً إذ قد يكون الشعر جيداً وكليته في منتهى السهولة، وهو كذلك خال من أنواع البديع.

المصادر:
1. المصور، عثمان محمد، المحامي آدم عثمان: شاعرته، وتقاليده، من مناهضات ضد الإسلام، ص 29-32.
2. أمين أحمد، النقد الأدبي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د، ط، 1972 م)، ص 67.
وقد كان المحامي آدم عثمان يتفنن في استعمال اللغة، إذ يكتب باللغة العربية الفصحى. ولكنه يُدخّل في لغة أحيانا كليات ليست من أصل عربي، فيعرّفها، ويراعي تجانسها مع الموقف. فحين مدح شيخه الشيخ طاهر عثمان بوتنشي في قصيدة حمزة من البحر الكامل في ثلاثة وستين سبيلاً "ترحب الشيخ طاهر عثمان بوتنشي لرجوعه بعد الفراق من تفسير القرآن". قال (1):

ولذا تكادنا وَنشط وَفَدْ جَامِع

فكلمة "تُكَادِن" هنا فعل بمعنى استوطن كاذوبة كما يقال تمضّر أو تشأم، إذا دخل مصر أو الشام. فانظر كيف تمكّن ليس من وضع الكلمة في شعره فقط، بل في إعطائها صفة من صفات الكلمات العربية وهي الاستفاق وقبول الزيدة الصرفية.

وقال في موضع آخر يمدح الشيخ نفسه في قصيدة دالة من البحر البسيط، عدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتاً. نظمها الشاعر بعنوان "ترحب فضيلة الشيخ طاهر عثمان بوتنشي لرجوعه من تفسير القرآن لمناسبة شهر رمضان المبارك المتعقد في كُدُورَانَا". قال فيها (2):

تاج الفوائد لِجَوْهَرَينَ صُنُّت لِكُم عهداً وَكَانَتْ قِلَامٌ ضِمن إشْهَادِي

فكلمة "جُوْهَرَينَ" نسبة إلى جوهر يُبَوْتِني، وكان الشيخ المدبوغ يسكن بها. فاستطاع أن ينسب إليها ويجعلها مناسبة بمحلها من البيت ويُكسبها ثبب الإعراب، فيجرها بالإضافة، وعلامة الجر الباء باعتبارها جمع مذكر سالم! 

(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد، (ديوان شعر مخطوط، نسخة مصورة، مكتبة البحت الخصبة، د. ط. د. ت).

(2) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
وقد لاحظ الباحث أن من مميزات فن المهدي عند المحامي آدم عثمان توليد معاني المهدي من مناسبات القصائد. فإنه إذا أراد أن يمدح أحدا خلق من المناسبة معنى بمدحه بها. فقد كتب قصيدة على سبيل المثال ليذم بها الهندي سليان رشدي بمناسبة كتابه "آيات الشيطان" الذي نال فيه شحدي من كرامت الرسول ﷺ، فبدأها الشاعر بمدح الرسول ﷺ قبل أن ينحى إلى غرضه الأساسي للقصيدة. فبدأها بقوله:

بنا هاشم نالوا ذرى المجد والهدى
بَيْنُّينَ الَّذِينَ قَدْ مَعَمَّا محمداً
وطفق يمدح الرسول ﷺ وأصحابه وأزواجه قبل الخوض في ذم رشدي.
وكأنه بذلك يشير إلى أن الرسول ﷺ لا تتفك فضائله وكراماته عنه مها حاول شيطان أو زنديق أن ينال منها. ولم يلغت إلى سليان رشدي إلا بعد أكثر من عشيرة بيتا، وذلك يمثل ربع القصيدة تقريبا، فبدأ اهتجاء بقوله:

ألا! إن سليان بن رشدي قد اردت زبول العدي ضد الرسول محمدًا
وانتهى منه بقوله قبل بيتين من نهاية القصيدة:
فلبكي يا سليان لو كنت جاهلاً
وليبكي ما سبت قط محمداً.
مسلمية الكذاب يكفيك عيرة
لقد لا حق تحفنا حين كذب أحمدًا.
وهكذا فعل حين ذم من سهام ب"شبان البرذوان" ونصحهم ليكتوا عن Brothers
سبب الصحابة والعلماء. فبدأ القصيدة بعد الحمد لله والثناء عليه بذكر فضائل

المراجع السابق:
(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
(2) 144
الصحابة، وكرامة العلماء وفضلهم، قبل أن ينطلق إلى هجاء "شبان الْبَرَزَّادَي". ومن 
Gen. Ibrahim هذا القبيل مدخّل لدى نجيبية السابق اللواء إبراهيم؛ ولعبًا في تنها هجائه للضابط الذي ترأس محاولة انقلابٍ فاشلة ضد Babangida السابق، وهو الضابط غُيُولُو أوركر اللواء بابن جدًا في القصيدة مشيًا إلى أنه لا يزال محترما رغم التهم التي وجهها الانقلابيون ضده. والقصيدة ثانية من البحر الوافر تحتوي على ثلاثة وراثة بيتا. يقول في القصيدة:

إذا اجتمع الرجال لسوف تدري 
وإيَراهيم كان أعُز قَدرا 
وإيَراهيم كان أعَر قدما 
وأتاه الناس بحكم شعب 
أعُزهم ليوم الواقعات 
وإيَراهيم كان أحَن ضَعف 
وإيَراهيم كان أَر قَدما 
وأتاه الناس بحكم شعب 
وأعُز الهُنأ للعالم ميهمات 
وهيذا تجده يولد معاني المديح بشكل يوحي إلى ما يقوله لسان حلاله بأن

مذوّره صاحب فضل لا يشيطه ما قال فيه من قال.

وأحيانًا يتطرق إلى مدح المكان الذي يقيم فيه المصدود كيًا، فعمل في مدينة Alhaji Usman Baba Liman للحاج بَاب ليَمْمِن الكامل، تحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتًا، وسِياها "كلمة الشكر في فهم الكتاب للقاضي أحَاج عثمان بَاب ليَمْمِن" حيث بدأ يُمَدح مدينة غُمِيسي آبًا Gombe Abba.

المراجع السابق

١٤٥٥
أسلوب الشيخ عند الزمان آدم عثمان، دراسة وصفية

مسكن المدح وقيل: 

تلك الحدائق والجنان علمتها
في غَمِّي أُيَّا مدينة الطرفان
قد زارها بحر يموج بسانه
يأتي بكل نعائم الجيتان
تتحول الدقيقتان وثنان
والأهل منها جُرُّمَ الإحسان
تلك المدينة أصل كل فضيلة
وهكذا جعل بدمح مدينة غَمِّي آيًا وأهلها قبل أن يصل إلى هدفه الأساسي من القصيدة.

وكان الشاعر المحامي آدم عثمان يُولَد كذلك المعاني في مديحي من اسم المدح وصناعة ومن حرفه. فحين نظام قصيدة هُمزية من البحر الكامل في ثلاثة وستين بيتا بعنوان "ترحيب الشيخ طاهر عثمان بوتشيي لرجله بعد الفراق من تفسير القرآن". مدح شيخه الشيخ طاهر عثمان بوتشيي فيها يقوله: 

شيخ الشيرخ وكان شيخي طاهراً
اسم الشيخ "طاهر" وهو يقول إن شيخه طاهر اسماً وفعلها، أي اسمه طاهر
وفعله طاهر كذلك.

وكان إذا مدح علما ووصفه بالعمل بالقرآن وإنشاد العلم والعفة فيقول في
شيخه إنه عالم وناجي وراحل وعامل بالكتاب والسنة... وهكذا. ومثال ذلك قوله

وهو يمجد الشيخ طاهر عثمان بوتشيي؟

____________________
(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق.
لقد ارتدى ثوب النقى وكراية قد كان ميد حشدة الكرما
زينت قلب بالكتاب وحانه سَن الرسول وحكمة السُّلِيماء
وقال فيه أيضاً في قصيدة ميما من البحر البسيط، وعدد أبياتها مائة: 1)
وصوب علمك أروانا وظهرنا ومن يظهرو هو الظاهر السلم
إني أجلس أهل العلم وماهم لعل من فضلهم تعلوا بيُّ الهمم
وإذا مدد فاضيا وصفه بالعدل، كما قال في القاضي باب لِينن: 2)
وبمقتضى وحي الاله لقد قضي هو عَدَال من فوهة الفينان
ومثال ذلك ما ورد في "قصيدةالتهيئة لمناسبة تولية منصب القضاة" وهي
يائمة من البحر الطويل في ثلاثة وعشرين بيتا، نظمها ليهني زميله في وزارة العدل;
القاضي يحيى بن أحمد حين ولي القضاء في إحدى المحاكم الشرعية. فمدحه الشاعر
فيها بقوله: 3)

لقد شهد الأقوام أنك عَدَال وعدلل قد أُبِي السيف العواليا
لقد ارتديت العدل والكل عارف
رِدا النقي خير وإن كان بالبيتا
وكان بُولد المعاني أيضاً من الفضائل الإسلامية مستندا إلى الكتاب والسنة في
ذلك، فحين نظم دالته التي هجا بها سلاني رشدي بموجب كتابه آيات الشيطان،
مدح فيها الرسول ﷺ بقوله: 4)

1) عثوان، آدم، مجموعة القصائد.
2) المرجع السابق.
3) المرجع السابق.
4) المرجع السابق.
أسلوب الشعبي عند المحميي آدم عثمان: دراسة وصفية

وأكرمه المولى بوجهي مفصل
إلى الحلق طرأ مرسل ثم مرشدًا
ليخرج من ظلم إلى النور أمة
إذ امته خصى شفاعته غداً
ملائكة صلت عليه تعبِّداً
ون كان حبب الله قد كان أسوة
ملائمة فعلى الغد من رواتبها
والذي يفعل في رأيته الموجهة إلى جنان الذكر التي قدمت زائرة شيخه الشيخ
طاهر عثمان بوّطشي في مدينة بوّطشي وهي من البحر الطويل، تحتوي على واحد
وخمسين بيتاً، ويقول فيها المحامي (1):

ويجمعهم حب الآخر وذكراً، فإنهم أهل التقى نعم بالزمر
ولا يلبهم بعٍ كذا تجارية، إذا ما دعوا للذكير قاموا إلى السحر
فياً يكاد المرء يقرأ هذه الأيات حتى يتذكر عدداً من الآيات القرآنية
والأندلسية النبوية التي أخذ منها الشاعر هذه المعاني، كقوله تعالى في سورة الأحزاب
"إن الله وملائكته يصلون على النبي بأيدي الذين آمنو صلوا عليه وسلموا تسليماً".
وقوله في سورة النور "رجال لا تلبهم تجارة ولا بيع عن ذكر وإقام الصلاة يتضفون
يوماً تتقلب فيه القلوب والأضرار" ونظائرها.

ومن مميزات أساليب الشاعر المحامي آدم عثمان في شعره المديح افتتاحه
القصائد بها يناسب غرضه منها، كقوله:

والحمد والشكر كل الخير تكتسب بالذكر والفكر عند الله تقترب

(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
(2) المرجع السابق.

(148)
وذلك في مطلع قصيدة بادية من البحر البسيط نظمها لمناسبة زيارة قام بها الشيخ علي بن مسيحي السُلَيْل إلى بَرْنَصي. فبدأها بالإشادة بشأن الذكر إشعارًا إلى انتهاء المدح إلى التصوف.

وقوله:

حمد الله من جعل المقاما مصلًّا من أتي البيت الحراما
وذلك في بداية قصيدة في ميمية من البحر الوافر تحتوي على أربعة وأربعين بيتا، نظمها لتوديع الشيخ طاهر عثمان بَرْنَصي الذي ينوي السفر إلى الحج. فبدأها بذكر الحج.

ونظر هذا قوله في مطلع القصيدة التي نظمها فور قدم الشيخ عائدة من الحج.

هو الرحمن من فرض الذهابا إلى البيت الذي أضحى مثابًا
ومثال آخر قوله في مطلع "كلمة الشكر لإدارة شئون الحاج لولاية بَرْنَصي".

وهي ميمية من البحر البسيط تحتوي على ثلاثة وثلاثين بيتا، نظمها ليشكر إدارة الحاج التابعة لولاية بَرْنَصي بمناسبة هدية كرسى السفر إلى الحج التي قدمتها إليه.

الإدارة:

للّ تقضاء نحو الحلم والخمر سعياً إلى طلب الغفران والكرم

المراجع السابق.

(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.

(2) المراجع السابق.

(3)
ومن هذا المنطلق لاحظ الباحث أن الصفات التي يرددها الشاعر في المديح
ويعبرها صفات الكرم لا تتعدي حدوت الصفات الدينية كالم стиль والأمانة والثواب
والعلم والجهاد والوفاء وحفظ القرآن والفقه والبصيرة والذكاء والعدل. فقد كانت
هذه الصفات وما في معانيها أو شبهها هي التي يرددها الشاعر كلمة مدلول جزء. وهذا
ناشئ عن البيئة التي كان يعيشها، إذ كانت بيته إسلامية خالصة، يغلب على الناس
فيها تقدير أهل العلم والفضل والثقة وأشغالها. لأنها هي الصفات التي يعتبرها
المجتمع بسمعة الفضل والقديرة ويدرها بفضل الدين، ويعتقد أن صاحبها يستحق المديح.
وكان كثيرٌ من المقارنة بين المدوح وخصومه أو أفرائه. يقول في عينية من
البحر الكامل، تحتوي على ثلاثة وسبعين بيتاً مادحاً شيخه الشيخ طاهر عثمان
بُنْتْيَبِ:  

ومتي أقحك بالنظائر بعد ما
علاء عصرك من شبابك تبرع؟
وإذا المسائل أعجزت وتفاقمت
تدل بأجوبة وقولك مصلع
إني أمثال الساذجين تاقصروا
إذ هم نسائم أنت لا تتهجع
وقال في "قصيدة ترحيب صاحب الفضيلة الشيخ طاهر عثمان بُنْتْيَبِ:
لرجوعه من كadhَا بعد اختتام برنامجه السنوي لتنصير القرآن الكريم في شهر رمضان
المبارك للعام 412 هـ "، وهي نوبة من البحر الكامل تحتوي على ستة وأربعين بيتاً:

ولقد سبقت إلى المكارم والعلوي
لم ترد الخصم أنت ليسين

المراجع السابق.
(1) عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
(2)
وقد كان يطلق معاني المديح أيضا من شرف الآباء، فيمدح الرجل بآلهه،
ويعكس في ذلك خالفا لنظرة قدامة بن جعفر في المديح إذا كان
بشرف الآباء. فقد نظم "قصيدة توديع فضيلة الشيخ ظاهر عثمان بَوْتَشِي لسفره إلى
الحج" وهي بائدة من البحر الكامل، ومدح شيخه الشيخ ظاهر عثمان بَوْتَشِي فيها
بقوله:

"عثمان أصللك إن أصللك طيب
إن الرياض نبتا لطيبة
وقال فيه أيضا في صيدية عينية من البحر الكامل، تحتوي على ثلاثة وسبعين

المراجع السابق.
1. البغدادي، ص 96.
2. عثمان، آدم، مجموعة القصائد.
أسلوب الاحترام عند الإمام آدم عثمان، دراسة وصفية

بيتا. نظمها ليفرح بشيخه حين عاد من الحج:

ومررت من أصل عنزي عزه من أم فضل كل فضل ترضع
ألا ترى الأشجار إن تلك أرضها خصبا جنها دائنا لا يقطع
عثمان مسئله سمية في حفظه وسخاه هو في الرجال الأشجع

وفي الملاحظ هنا أن الشاعر المحمي آدم عثمان يستغل معرفته بتاريخ
الإسلام فيخلق من الأحداث والحقائق التاريخية معاني للمدج أو غیره. وهذا ظاهر
من تشبهو عثمان والشيخه بالخليفة الراشد عثمان بن عفان في الحفظ والسخاء.
ومن فصل من وصفه للحساد ضد الشيخه، الذين شهدهم بمسيلة الكذاب، وذلك
في "قصيدة ترحيب فضيلة الشيخ طاهر عثمان بوتشي لقدومه من كفترًا عقب اختتام
جلسة تفسير القرآن الكريم لمناسبة شهر رمضان المبارك للعام 1412 ه" وهي مامية
من البحر الكامل، تحتوي على ستة وثلاثين بيتا، فقال:

ما يتغنى الحساد منك فإنهم يمروا قصة الكذاب مسيلة
كيا كان أكثر من ذم خصوص مدعوهم، فقلبا يمدح رجلا إلا ويهجو خصوم
ذلك المدعو. فقد كان كثيرا ما إذا مدح شيخه هجا شيخ الطواح الدينية الأخرى
والتي يدورها تشاجر أو تناقل شيخه في العقيدة أو المنهج أو غير ذلك. ومثال ذلك
 قوله في ثانيا مدح الشيخ طاهر عثمان من قصيدة تطمها بمناسبة ترحيب الشيخ

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.
لرجوعه من كاذبًا بعد اختتام تفسير القرآن لرمضان سنة 1426 هـ. فقال:

أوقفت حدا بالإزالة قاستا رجب وسادات والخينة ذين
إن يجدوك فإن حسبي رينا بري برد الحسابيين قمن
عن الحسود فإن حاسد نعمه تنمو فين وهو بعد حزين
عضا الأصابع إن روتك وكلهم جمع الضحايا منكر وضغين

وأما بالنسبة إلى الشكل فمن الواضح أن الشاعر محافظ، وكان يستخدم الأولان الخليلية التقليدية، فبكثر من استخدام البحور السائدة في الشعر العربي القديم كالبحر الكبير والطويل والبسيط والواهق وغيرها من الأوزان دون أي تغيير في أشكالها وقواعدها المعروفة كا هو ظاهر من قصائده. كما كان يستخدم أسلوب التصريحة في مطلع قصائده حيث يجعل حرف الروي مطابقا للحرف الأخير في صدر البيت الأول. وكل هذه من المميزات التي توجيه بأنه محافظ وتقليدي في شكل أفعال الأدبية، وهذا مع أنه قد اكتسب من الثقافة الحديثة حظًا وافراً. ولعل هذا يرجع إلى كونه قد تنحل من الأدب العربي القديم الشيء الكثير في بداية جولته العلمية، وقد اتصله بالثقافة الغربية كما مر في تزمنه. أو يكون راجعاً في أقل تقدير - إلى الوضع الذي يعيشه الشاعر في مجتمع لا يزال يكره التجديد في كل شيء تقريبا، فمن الطبيعي أن تجد أفراد المجتمع بهذا يحاولون الابتعاد عن الجديد الذي قد يسبب لهم الدم من الناس.

المراجع السابق:
(1) القرواني، أبو علي الحسن بن بشيق، المحمد في محسن الشعر وأدابه، مقهى: عبد الحميد
(2) هنداوي، (بيروت: المكتبة المصرية، د. ط. 2004، ص 156، 153)
أسلوب البيت عند الباحثي آدم عثمان: دراسة وصفية

ومن مصادر معانيه في شعر المديح النزيلة الصوفية التي يتسمى إليها الشاعريديين بها ويعتنى بها حق المعرفة. فقد تجده يقول في شيخه الشيخ طاهر عثمان بوتتشي وذلك في همزية من البحر الكامل في ثلاثة وستين بيتا نظمها لرحب بشيخه القادم من كُنُونًا بعد القراء من تفسير القرآن بمناسبة شهر رمضان. وقال:

وسريت كلك في الكتاب ولا أرى غير الكتاب وذاك كله فناء
ومثال آخر ما في الباقية التي سبها "قصيدة توديع فضيلة الشيخ طاهر عثمان بوتتشي لسفرة إلى الحج" وهي من البحر الكامل، تحتوي على ستة وأربعين بيتا. فقد قال فيها أ: كُشف القلب لنا بذلك عازم نحو العتيق وأنت فيه رهيب.

وهكذا فعل لما نظم قصيدة عينية من البحر الكامل في ثلاثة وسبعين بيتًا لرحب بالشيخ طاهر عثمان بوتتشي حين قدم من الحج. فقال في تثبيته: 

والله أعطاك المنائح وولا يفتح لكم، وهو الممر الأسع
فالفناء والكشف والفتح من المصطلحات المعروفة عند الصوفية.

---

المراجعات

(1) المراجع السابق.
(2) المراجع السابق.
(3) المراجع السابق.
الخاتمة

ولعل فيهم مر من الحديث ما يعطي ضوءًا لا يُسهم بحلول أساليب الشاعر المحامي آدم عثمان في مدينه. ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية.

1- يظهر للباحث أن الشاعر كان يسلك في شعر المديح أساليب واحده ويشتغل عليه في أغلب إنتاجاته.

2- وأن من أبرز ما يتمتع به أساليب الشاعر في التعبير والتراكب في الترتيب، وجودة السبك.

3- وأنه ناجح في عملية توليد معاني المديح من مناسبات القصائد ومن الفضائل الإسلامية.

4- وكان يكثر من استعمال المصطلحات الصوفية، كما يمنح إلى ماه المكان الذي يقيم فيه المدن، وأنه كان محافظًا بالنسبة إلى الشكل واللغة.

١٥٥